# مناقب سيدنا الشيخ
# أبي مدين الغوث
## رضي الله عنهم وأرضاهم

جمع وتحقيق :

الشريف الحسني المشيشي الخيري

أبو بكر الصديق عبد الناصر

خادم الطريقة الشاذلية

القاطن بالمدينة المنورة

رضي الله عنهم وأرضاهم

الجزء الثالث



# مَنَاقِبُ وديوَانُ

القطب الرباني العارف بالله الغوث الصمداني الشيخ سيدي شعيب أبي مدين بن الحسين الأنصاري الأندلسي الإشبيلي المتوفي عام 594 هـ بوادي يسَّر حوز تلمسان المدفون بعبَّاد تلمسان رضي الله عنه وأعاد على المسلمين من بركاته * آمين *

## الجزء الثالث

ومنهم الشيخ الصالح أبو مسعود عريف
❋ من جبال اشلف بأرض تلمسان ❋
وكان مجاب الدعوة مشهور البركة ❋
وقبره بجبال اشلف يزار ويتبرك به ❋
وهو شيخ والد جدي للأم يعقوب بن
عمران أبو يوسف ❋ فإنه ارتحل إليه في
صغره فأدبه وهذبه وأحسن تربيته وقربه
وانتفع على يده ❋ وأمره بالانصراف إلى
وطنه ❋ فأقام به وبنى زاوية ❋ ووجد
ببركته مكانة سنية ❋ وبها توفي في عام
سبعة عشر وسبعمائة ❋ وكانت ولادته

في حدود الثلاثين وستمائة ❊ وكان يعلم ما يقع في قسنطينة وهو في زاويته ❊ ويحدث الناس به وبينهما مسافة مرحلتين ❊ واشتهرت كراماته ❊

ولما بويع السلطان الشهير أمير المؤمنين أبو يحيي أبو بكر بن الأمراء الراشدين سنة إحدى عشر وسبعمائة بقسنطينة المحروسة ❊ وضع يده في يده ذلك اليوم وقال له : تطول مدتك إن شاء الله وتأمن القتل ❊ وسماه المتوكل على الله ❊

فكانت وفاة السلطان رحمه الله بعد ست وثلاثين سنة من مبايعته بعقب مرض يسير أصابه وتجديد توبة قبل نزول المرض به ❊ وذلك في شهر رجب سنة سبع وأربعين وسبعمائة ❊ ولما دخل عليه عقب رؤية هلال رجب قال : لا إله إلا الله دخل رجب ❊ وكرر ذلك مراراً ❊ وأشار إلى حضور أجله ونعيت إليه نفسه ❊ ثم ركب ومر في الأسواق وزار المزارات وأباح الوصول إليه لأنه كان قبل ذلك قليل الظهور للناس ❊

ففعل فعل المودع ❋ ولا أدري هل سمع
ذلك من هذا الشيخ أم من غيره من
الفضلاء ❋ وكان يقتحم الدخول في
القتال ولا يحذر ضارباً ويقول ❋
سيدي يعقوب وعدني بالموت على سرير
العافية ❋ وما زال السلطان رحمه الله
يكرر ذلك ❋ وذكر يومًا لأطبائه حين
اطلعوا على جراحات فاحشة في جسده
❋ وكان قدس الله روحه يكتب لجدي
بعد وفاة والده يرغبه في الدعاء له عند
قبره وكتابة أبيات عندي الآن ❋

ودفع الحاجب الرئيس أبو عبد الرحمن بن عمر لبعض تلامذة الشيخ ألف دراهم في اليوم الذي ودع فيه السلطان رحمه الله ❊ وقال له أعطِ هذا لسيدي يعقوب ولا تدفعها له إلا بعد سفره ووصوله إلى زاويته ❊ فخرج الشيخ مسافرا ❊ فلما لحقه التلميذ بالمال وسار مع الناس نحو الميل ولم يعلمه ❊ وإذا بالشيخ حول وجهه وقال : ما هذا الشوك الذي معنا ❊ وهو يكرره ❊ فأعلمه بالمال ❊ فأمره برده لابن عمر وأنه لا

يتعدى من ذلك المكان حتى يصل إليه ❋ فلما رجع التلميذ بعد رد المال قال : بسم الله قد فعلت ما أمرتني به ❋ فتحرك الشيخ وقال : الطريق الآن نقي ❋ وسقط له إبريق الوضوء من يده وتكسر ❋ فوقف في ذلك المكان ثلاثة أيام باكياً مستغفرا❋

وحدث الشيخ عن شيخه أبي مسعود الحكاية المشهورة ❋ وهي أنه قال : نمت ليلة قريبا من شيخنا أبي مسعود في

خلوته ❋ فسمعت كل شعرة منه تذكر
الله تعالى بلسان فصيح ❋

وبه يتصل نسب جدي للأم يوسف بن
يعقوب البو يوسفي إلى الشيخ أبي مدين
رضي الله عنه بمشيخته ❋ عن ولده ❋
عن أبي مسعود هذا ❋ وأبو مسعود عن
أبي مدين ❋ فكان بينه وبين أبي مدين
رجلان ❋ فسمعت ذلك من جدي
للأم سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ❋
وقال هذه بركة أشياخنا ❋ وسرد السند

المستند إليه وهو ❁ أبو مدين ❁ عن أبي
الحسن بن حرزهم ❁ عن القاضي أبي
بكر بن العربي ❁ وتوفي بظاهر فاس عام
ثلاثة وأربعين وخمسمائة ❁ وقبره بين
فاس القديم وفاس الجديد ❁ وقد وقفت
على قبره ولزيارته بركات ❁ عن أبي
حامد بن محمد الغزالي وتوفي بطوس في
عام خمسة وخمسمائة ❁ وكانت ولادته
سنة خمسين وأربعمائة ❁ ولما صلى
الصبح طلب كفنه ومسح بيده على
وجهه وقال مرحبا بالدخول على الملك

❋ واشتغل بالذكر والاستغفار إلى أن توفي قبل طلوع الشمس من ذلك اليوم ❋ وقال : لا يصلي علي أحد حتى يأتي رجل لا يعرف فيصلي علي ❋ فوضع على قبره وانتظر الناس به ❋ فأقبل رجل عليه عباءة وتقدم وصلى بالقوم عليه ❋ هكذا ذكر السمعاني في كتابه المعروف بمنتخب الذيل ❋

ووقفت بخارج بلاد آرموز من بلاد المغرب على قبر أبي شعيب آرموز

المعروف بأيوب السارية ❋ ومعنى هذا أنه كان إذا وقف في صلاة النافلة غاب وهو منتصب كالسارية ❋ فإذا أُقيمت الصلاة جاءه المؤذن وصاح في أذنه صيحة تسمع من خارج المسجد فيستيقظ من غيبته عن الناس ويخفف في صلاته ويدنوا من المصلين ❋ فقال لي الشيخ الصالح الفقيه الواعظ أبو القاسم النوري في هذا الرجل : هو الذي صلى على الغزالي رحمه الله ❋

عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن أبي محمد بن يوسف الجويني ❊ إمام الأئمة على الإطلاق ❊ وجلس للتدريس في مكان أبيه وهو ابن عشرين سنة ❊ وكان هاجر إليه الغزالي مع شبان من طوس وانتفع عليه نفع الله به ❊ وتوفي في عام ثمانية وسبعين وأربعمائة ❊ وكسرت المحابر والأقلام في ذلك اليوم مبالغة أنه لم يبقى من يؤخذ عنه العلم ❊ وهو من أصحاب أبي القاسم القشيري رحمه الله ❊ وأخذ أبو المعالي عن أبي

طالب المكي ❁ عن أبي القاسم الجنيد ❁ عن سري السقطي ❁ عن معروف الكرخي وهو الذي قيل فيه لأحمد بن حنبل رضي الله عنه إن معروفاً قليل العلم ❁ فقال للقائل وهل يحتاج العالم إلا إلى ما وصل إليه معروف ❁

وأخذ معروف عن داوود ❁ عن حبيب العجمي ❁ عن الحسن البصري وكانت أمه تخدم أم سلمة زوج النبي ﷺ ❁ فإذا اشتغلت عنه بالخدمة وبكى

عليها أعطته أم سلمة رضي الله عنها ثديها
يمص فيه تشغله عن أمه ❋ فظهرت
العجائب عن لسانه من بركة أم سلمة ❋
وأخذ البصري عن سيدنا علي ابن أبي
طالب رضي الله عنه ودعا له ❋ وأخذ
سيدنا علي عن سيد البشر ﷺ ❋

هكذا سمعت هذا السند من جدي للأم
يوسف بن يعقوب اليوسفي ❋ وكانت
ولادته في عام ثمانين وستمائة ❋ ووفاته
في عام أربعة وستين وسبعمائة ❋ وهو

جالس في مرضه يمسح بيده اليمنى في التيمم لصلاة العصر ❋ ودفن بزاويته بجنب أبيه ❋ وحضر جنازته من لا يحصى عددهم ❋ وأعلمهم بسنة موته قبل ذلك بتدريج في التعريف مرة بعد أخرى ❋ وتوفيت زوجته جدتي بعده بشهرين ❋ وأقام معها في الزوجية سبعين سنة بعِشرة قويمة وهداية مستقيمة وإعانة على الطاعة عظيمة ❋ وكانت تربيته على يد والده ❋ وحدث عنه قال : أمرني والدي في ابتداء أمري

بالاعتكاف في شهر رمضان ❊ وناولني في الليلة الأولى ثلثين تمرة ❊ وفي الثانية تسعة وعشرون تمرة ❊ ثم ما زال ينقص لي واحدة في كل ليلة ❊ وما رأيت تشوقا لشيء في ذلك الشهر ❊

وأقام نحوا من خمسين سنة لا يطلع عليه الفجر إلا في المسجد ❊ ولا يسكت عن الذكر جهراً بعد صلاة الصبح إلا بعد أن تطلع الشمس ❊ وكان يلازم المسجد أبدا إلا في الضروريات البدنية ❊

وكانت صفته التي داوم عليها وهي أسهل الأشياء عليه ❊ وعرفها منه الخاصة والعامة ❊ إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ❊

ووضع الله له القبول عند الأمراء الراشدين رضي الله عنهم ❊ وأعانهم على ما يرضاه منهم وعند ولاتهم في قضاء الحاجات وقبول الشفاعات ❊ فكان يدخل بذلك على المكروبين المسرات ❊ حضر يوما عند الخليفة أمير المؤمنين

المتوكل على رب العالمين أبي العباس ابن الأمراء الراشدين أعلى الله مقامه وأطال في العز دوامه بالجامع الأعظم من قصبتهم السعيدة بقسنطينة المحروسة بعد صلاة الجمعة وطلبه في حوائجه فقضاها كلها إلا واحدة في تسريح مسجون ❋ تردد السلطان فيه وعسر عليه إطلاقه ❋ فقال له الشيخ بعد أن حبسه بيده من صدره قابضاً من الثوب من هنالك ❋ والله إن لم تطلقه خرجت عنك غير طيب ❋ فأبى أيده الله ولم

يطلقه ❊ فانصرف الشيخ بانزعاج وبغير
سلام ❊ فنظر السلطان في الأرض ثم
حركه اعتقاده وفضله وتواضعه ❊ وقام
وتبعه وأمر أخاه الأعز أن يبادر إليه
ليوقفه ❊ ففعل ورده إليه بلطافة قول
وليانة فعل ❊ واجتمعا في الطريق فقال
له السلطان ❊ لا تأخذ علينا يا سيدي
نحن أولادك ❊ فقال الشيخ بعد أن
تبسم : تغير الوالد على الولد بالظاهر لا
بالباطن ❊ ثم قضى له الحاجة التي توقف
فيها وأخرى معها وانصرف ❊

وسمعته نصره الله وأبقاه يقول في مجلسه الأشراف بحضرتهم العلية بتونس المحروسة : ما رأيت فيها بعد سيدي يوسف أحدا وهم نصرهم الله الحجة في مثل ذلك ❋

وحدث عنه الفقيه ابن رضوان متعجبا ما مرة في مجالس عدة ❋ قال زرته مع غيري واشتهيت في نفسي طعاماً عينته ❋ قال فلما قضينا زيارتنا وأحضر لنا الطعام قرب لي الطعام الذي اشتهيت

وحدي وهو يبتسم ❊ ورأيت في ذلك ما لا كنت أظن بأني أقف عليه ❊

وحدث عن ابن أبي مدين في غير ما موطن ❊ قال أمرنا السلطان بالجلوس في برجوية بقية عامنا فشق ذلك علينا ❊ فركبت إلى الزاوية وأعلمت سيدي يوسف بما كتب لنا به وما نحن فيه من الكرب بسببه ❊ فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال : تنصرفون إن شاء الله تعالى ❊ فقلت ذلك وانصرفنا بعد أيام

يسيرة بكتّاب آخر وتعجبنا من ذلك ❊

وكان كثير العطية ❊ فرق مرة في مرضه على المحتاجين من أقاربه ومعارفه ألف دينار دراهم جديدة وثلاثمائة دينار ذهباً جعل ذلك أكداساً تحت فراشه ❊ لا يخرج الزائر المحتاج حتى يناوله بقدر حاله ❊ وقسم سائر كسبه على ورثته ❊ وليس ذلك في مرض موته ❊ ولما كان يوم إفاقته قال لأهله لم يبقى إلا ثوب عنقي وحمد الله على ذلك ❊ وما أخذه

الوارث لم يسترجعه منه ❃ وكان ببركة الشيخ أبي مدين وظهور غاية من انتسب إليه بكرامة العلماء والصلحاء والسلاطين ❃ وما يكتب إليه أحد من الأمراء الراشدين إلا ويخصصه بالسيادة ❃

وكتب مرة لأمير منهم في تسريح مسجون ❃ فسرح كل من في السجن بسبب ذلك ❃ وكان له تلاميذ مباركة وإخوان مباركون ❃

# ذكر تلامذته رضي الله عنهم

والشيخ المبارك الفقيه الصالح الولي أبو عبد الله محمد بن أبي محمد عبد الله الصفار * المدفون عندنا في المسجد الذي كان يؤم فيه داخل باب القنطرة بقسنطينة * أدركته وتبركت به * ورأيت والده صفاراً * وكانت لأبي عبد الله هذه البركة التامة والكرامة العامة * وخصص والدي رحمه الله لبناته يعلمهن القرآن * ولم تفارقه

إحداهن حتى ختمت وكررت ثلاث مرات ❁ وقرأت عليه الرسالة ❁ وانتفع بها والدي رحمه الله كثيراً في مقابلة الكتب ونحوها ❁ وقالت إحدى أخواتي ما رأيته رفع بصره فينا يوماً قط ❁ وما سمعنا منه كلمة في غير التعليم ❁ وإذا قربنا إليه طعاما يفطر عليه ❁ تارة يقبله وتارة يرده بيده ❁

وكان يحدث عن جدي للأم ويكرر ذلك دائماً أنه خرج لزيارته من باب

القنطرة ❊ وناداه من أعالي الرمال التي هناك وجدي في طريقه ❊ فلما بلغه في اليوم الثاني بملارة وجده تباعد عن الدار جالساً في الطريق ❊ وقال له من حين ناديتني وأنا أنتظرك ❊

ولما قدم والدي رحمه الله من الحجاز خرج إلى لقائه ❊ وقال لبعض الفقراء معه غرضي أن ينزل الخطيب عند بنت الشيخ فإنه كانت لوالدي زوجة أخرى في مكان آخر ❊ فكان يتبعه ويرمقه حتى

رآه عدل إلى دار والدتي ❁ قال لمن معه الآن طابت نفسي وانصرف ❁ فانظر وفقك الله رعي هذه الحقوق واستعمل الخاطر فيها ❁

وكان يسعى في حوائج الناس ويختلف إلى باب السلطان في ذلك ❁ وقال له الحاجب يومًا : أكثرت من هذا فلا تعد ❁ فسكت عنه فخرج فلقيته امرأة وكلمته أن يرجع فرجع في حاجتها ❁ فرجع إلى الحاجب فأعلمه وقضى

حاجته ❋ وقال له : يا سيدي لا تتأخر عني في حاجة وتبين أن لا فرق عنده في الحاجة التي تقضى والتي لم تقضى ❋ وكان قدمه جدي للأم رحمه الله على تلامذته بقسنطينة ❋ وصدقت فيه فراسته وظهرت عليه عنايته ❋ وتوفي رحمه الله على أفضل حال من الطاعة والعبادة في عام تسعة وأربعين وسبعمائة ❋ وقبره يزار ويتبرك به ❋

ووالدي رحمه الله الخطيب حسن بن
الخطيب علي بن بين اللمعة * صالحه
وعاهده * وسلك طريقته وساعده *
وقصد الله في مصاهرته * واعتمد بقربه
ومواصلته * وحدث متعجبا أنه لما
انتهب في ركب الحجاز حين قطعت
عليهم لصوص الأعراب لم يسلم له إلا
المفرش الذي دس فيه شاشية الشيخ
مربوطة مع نفقة صالحة أعدها لرحلته *
وكان والدي رحمه الله يستعين بعارية
كتبه في تدريسه للعلم * ويقاسمه فيما

يترتب له على ذلك من محصول الثواب ونفي الإثم ❋ وكانا مسرورين معا بوصالتهما ❋ وقليل أن تقع مصاهرة في الصفاء كمصاهرتهما ❋ وما زال والدي رحمه الله محافظا على عهده ❋ مشغولا بطلب العلم وتدريسه ببلده ❋ مقتدياً بسمته بطريقة أبيه وجده ❋ حتى لقي الله تعالى بوسيلة العلم وروايته وسنده ❋ وكانت ولادته في عام أربعة وتسعين وستمائة ❋ ووفاته في عام خمسين

وسبعمائة ❊ وهو عام الوباء العظيم العام❊

وكان في صحته أعد لنفسه جميع ما يحتاج إليه بعد الموت من كفن ونعش وتعيين نفقة وغير ذلك ❊ وله في الآداب الشرعية والأحاديث السنية ونكتة السنة وأحكامه العلمية تأليف استحسنه من وقف عليه من أهل العلم ❊ وكان مما أوصى به أن ترد البغلة التي أعطيت له أيام السلطان أبي الحسن المريني ❊

فردت على معطيها منه بعد موته عملاً
بإنفاذ وصيته ❊

ومما استحسن منه جماعة من الفقهاء أنه
لما قطع للشيخ الفقيه العالم المحقق الشهير
أبي علي بن حسين اللجائي شارح المعالم
الدينية مرتبه ❊ بسبب ما أذكره وذلك
ببجاية ❊ بعث إليه والدي كتابا فيه أنه
قطع مرتبك وساءني ذلك ❊ وإني
التزمت أداءه على قدره من مالي في
كل شهر ❊ فكان يبعث له ذلك ❊

وكان أحب أفعاله إليه صدقة السر ❊
وكان يتحدث بفعلة فعلها والده ❊ ما
أحسن القصد فيها ❊ وهي أن والده
ملكه جميع ربعه إلا داراً معتبرة أبقاها
لنفسه ❊ فلما قرب أجله دفعها إلى النداء
وأمر بإنفاذ بيعها ❊ فعجب والدي من
ذلك بسبب أنه لا حاجة إلى بيعها ❊
ففهم عنه وقال له يا ولدي أبقيت لك
عددا من الدور والجنات والأرضين
وغير ذلك مما تعلم ❊ وما أبقيت لنفسي
إلا داراً واحدة أريد أن أرتحل بها عنكم

لم تهن عليكم ❋ فقال له حاشا لله وإنما
توقفت لجهلي بهذا السبب ❋ فبيعت
الدار بثمن معتبر ❋ وأوصى أن يتصدق
يوم موته على قبره ❋ وفعل ذلك سنة
ثلاث وثلاثين وسبعمائة ❋ وكانت
ولادته بعد أربع وأربعين وستمائة ❋
وتردد في خطة الخطابة مدة من ستين
سنة ❋ هكذا أخبرني بعض الفضلاء
رحم الله الجميع بفضله ❋

ومن إخوان جدي للأم رحمه الله شيخ

المريدين الشيخ الفقير السالك العارف المبارك أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف الأنصاري الأندلسي السرّاج ببلدنا ❋ كان كثير الزيارة له بملازمة وحريصا على القيام بحوائجه ❋ وكان إذا سمع بقدومه يأتي إلى منزل نزوله فيتفقد سرجه هل يحتاج إلى إصلاح أم لا ❋ وإذا احتاجت رقعها بيده ❋ وكان والدي رحمه الله يستحسن منه نهاية أخوته ❋ وكان هذا الشيخ أبو الحسن علي الأندلسي من الأتقياء الأصفياء

وليس على فضله مختلف ❋ وله سند الشيخ أبي مدين رضي الله عنه ❋ وكان له معرفة بالتربية والمعية وأخذ في الأنوار الألمعية ❋ وكان له فهم وسلوك في معاني نظم السلوك وهي القصيدة التي منها :

لأنت مُنى قلبي وغاية مطلبي
وأقصى مرادي واختياري وخيرتي

وهي للإمام أبي القاسم عمر بن علي

السعدي المعروف بابن الفارض ❋
وكانت ولادة ابن الفارض سنة ست
وسبعين وخمسمائة بالقاهرة ❋ وبها توفي
سنة اثنين وثلاثين ❋ وجاور بمكة عشرين
سنة ❋ ومات على أفضل الحال ❋
فكانت للأندلسي بها ذرية ❋ وكان
حديثه في الطريق نهاية ❋ وله محبة في
نظم الشيخ الصالح الزاهد العابد الولي
المحقق المكاشف الشهير أبي الحسن علي
الششتري ❋ وكانت وفاة الششتري
بدمياط سنة ثمان وستين وستمائة ❋ وهو

من طرف جدي للأب ❋ وتوفي شيخه أبو محمد عبد الحق بن سعيد بمكة سنة تسع وستين وستمائة ❋ وظهرت للأندلسي الفراسة والكرامة ❋ وكانت له عند الخواص مكانة ❋ وتوفي رحمه الله بقسنطينة في حدود ستة وأربعين وسبعمائة ❋ ودفن بخارجها في وجه الكدية ❋ وقبره هنالك معروف عند الأفراد من الناس ❋ وقد أخفاه الله حيا وميتا كما هي عادته سبحانه في كثير من أوليائه ❋

ومن إخوان جدي للأم رحمه الله تعالى وأقربهم إليه الشيخ الصالح الحاج المبارك الفقير السالك أبو هادي واسمه بالبادية يسوافت ❊ يقال أنه من المغرب ❊ وأخبرني من يقبل قوله من الشيوخ أنه من عرب برقة ❊ والشهرة أنه من المغرب وبلسانهم كان يتكلم ❊ وارتحل إلى المشرق وجاور بمكة والمدينة ❊ وكانت له بهما مجاهدة وعبادة ❊ وانتقل إلى بلاد إفريقية بعد أن هم بالإقامة في برقة وفي طرابلس ❊ بضم الباء واللام ❊

وتردد هنالك وتبعته بإفريقية التلامذة
❁ وظهرت بركته ❁ وكان معظما عند
السلطان وعامة الناس ❁ وكانت بينه
وبين الفقهاء منافرة ❁ وله مجلس
معروف مع فقهاء تلمسان ❁ وبخهم هو
وزجرهم السلطان عنه ❁ وأراد قاضي
الجماعة أبو عبد الله محمد بن عبد السلام
الهواري التونسي شارح ابن الحاجب
توبيخه لنزوله بجامع الزيتونة من تونس
بتلامذته في صحن الجامع ❁ ولغط بما
يفعل ❁ ثم كف عنهم لسر رآه من

أحوال الفقراء ❋ وكان إذا رآه والدي
رحمه الله سأله عن حاله وقرر له محبته
فيه وباسطه ❋ وسأله عن حال والدتي
يقول له : كيف بنت الشيخ ما زالت
فقيرة أم رجعن فقيهة؟ ❋ فيجيبه أنها
على الوجه الذي تريده ويضاحكه ❋
وكان يحفظ جملة من مسائل الفقه
وبعض غرائبه ❋ وكان يؤول ما سمع
من المسائل العلمية إلى معنى التصوف
بالوجه المستحسن ❋ وكان كثير الصلاة
جداً ❋ يتكلم مع الزائر ثم يركع ركعتين

ثم يعود إلى الكلام تارة وتارة ❋ وكان كثير الذكر وله أوراد مقررة ❋

وكان لتلامذته أوقات من الذكر جماعة بعد أخرى ❋ وكان ينفرد عنهم في أكثر الأوقات ❋ وكان قليل الأكل ❋ وكان له رأي نافذ في تدبير الدنيا ❋ ولذلك كانت القوات تستشيره ❋

وكان أرفع ثيابه برنسة ويوالي جسده بما تيسر ❋ أعطى مرة ثيابه التي عليه لرجل

وتستر مما استعار حتى غسل له طرف من جلال فرس ولبسه ❋

وكانت له في السفر راحلة تشبه راحلة القواد من قيطون وخباء وآلة طبخ وكلاب صيد ❋ وكان لا يركب إلا جياد الخيل ❋ وتلونت الألسن فيه وفي حياته ❋ واتفقت على فضله بعد مماته ❋ أخبرنا شيخنا الفقيه القاضي الشهير المحدث المرحوم أبو علي حسين بن القاسم ابن فارس ❋ وتوفي سنة سبع

وثمانين وسبعمائة وسنه يقرب من تسعين سنة ❋ أنه لم يعتقده إلا بعد أن لقي أخبارا بالحرم الشريف تعرَّف منهم مجاهدته هنالك وعبادته وذلك بعد موته❋

وقال لي أيضا مرة ❋ أخبرك وذلك أن السلطان أبا الحسن المريني أراد أن يبني مدرسة بقسنطينة ❋ فتحدث بشراء دار ❋ فقيل له ما ثم أليق من دار اشتراها أبو هادي وكان قريب العهد بشرائها ❋

قال وكلفني السلطان أن أتحدث معه في
أن يعطيها له بأي ثمن شاء ❋ قال
فدخلت من المحلة بسبب الكلام فيها
فأنساني الله ذلك ❋ واشتغل السلطان
ولم يكرر علي في أمرها ❋ ورأيت أن
ذلك من بركته ❋ ولما وصل الخبر بنزول
السلطان أبو الحسن المريني متوجها إلى
بلاد إفريقية خرج الشيخ أبو هادي
مسافرا من قسنطينة ❋ فبات عند جدي
للأم رحمه الله بزاويته بملارة ❋ فبعد
فراغه من وظيفة صباح تلك الليلة قال

الشيخ أبو هادي أريد أن تتحرك معي
إلى هذا السلطان ونتعاون في الكلام
معه ليرجع عن هذه البلاد ❋ فسكت
عنه فكرر عليه الكلام ❋ وقال له في
أثنائه لعلك خفت ❋ فقال له والله ما
خفت ولكن المانع الأعظم عندي أن
يقول لنا لا ❋ فلا فائدة في الكلام ❋
فقال له أبو هادي إذا قال لنا لا نقول
له نحن لا ❋ ورفع صوته بذلك ❋ ثم
قال له سلمت لك في الجلوس ولا تنسانا
بباطنك واعطني سرجك ❋ فركب عليه

فأخذها وانصرف ❁ وقدم على السلطان أبي الحسن ودخل عليه ❁ فقال له ما حاجتك؟ ❁ فقال له حاجتي أن ترجع وتترك البلاد لأهلها ❁ فقال هل لا يمكن؟ ❁ فاطلب غير ذلك ❁ وتلطف له السلطان حتى رأى أنه لا طلب له إلا هذا ❁ أعرض عنه وانفصل المجلس وكل واحد منهما غير طيب بما وقع ❁ وعرض السلطان فيه بالقول بعد انصرافه ❁ وقال هذا أحمق أمثلي يصد وطريقتي كذا وشأني كذا ولي كذا ❁

ورجع الشيخ أبو هادي إلي قسنطينة وصرف أكثر أتباعه وتحول في نفسه ولازم خلوته ❁ ولغط كثير من الناس أنه متوجه إلى الله تعالى في السلطان المذكور ❁ وكان من عاقبة السلطان بإفريقية ما كان من الفساد ❁ وذلك بعد موت الشيخ أبي هادي بأشهر ❁

ومن أشياخ الشيخ أبي هادي ❁ أبو لقمان ❁ من جهة مراكش من احواز طائفة الشيخ أبي محمد صالح ❁ وكانت

لعبد المؤمن هذا أحوال أخبرني بها بعض فقراء المصامدة أن له معرفة تامة بكتابي البوني في أسرار الأسماء ❊

ويسمع عند الفقهاء بمراكش أشياء أنكروها ❊ فأحضروه يوما للسؤال والبحث عن سبب ما يصدر عنه من الأحوال ❊ فقال لهم : أنا أعرفكم بسبب ذلك ❊ أنا مع ربي بالباطن وأنتم معه بالظاهر ❊ فتركوه وسلموا له ❊

وكان معاصرا مع الشيخ أبي زكريا يحيى بن أبي عبد العزيز الخاصبي ❋ وكان كل واحد منهما غير طيب بصاحبه ❋ ولا حاجة لي في استيفاء هذا ❋

وكان الشيخ يتردد في بلاد إفريقية ❋ وأكثر استقراره بقسنطينة وحوزها ❋ وله نوادر في طرف الكلام ويباسط ببعض الكلمات المضحكة ❋ وكان يقبل عطايا الأمراء وجوائز العمال ويطلب ذلك ❋ ويوسع به على المحتاجين من

تلامذته ❋ ومنه أقام زاوية في بلاد
إفريقية ❋ وله في ذلك مسند في الشرع
معروف ❋ وشاركه في الأجر ❋ من أعانه
عليه من الأمراء الراشدين رضي الله
عنهم ❋

وكان رحمه الله موقرا لجدي للأم في
أخوته ❋ وكثير المحافظة على محبته ❋
وضع يده يوما عليه بمحضر الناس
وتلامذته وقال : هذا أحد أشياخي ❋
وقال الشيخ لتلامذته : من عاهدني

فليجدد عهده مع أبي هادي ❋ وكان
بينهما افتقار إلى الاستئذان في أخذ ما
يحتاج أحدهما من حوائج الآخر ❋ وما
زالت بينهما المداولة في ذلك ❋ وكان
كثير الزيارة له بملارة ❋

وحدث جدي لمن سمعت منه ❋ قال
زارني أخي أبو هادي مرة فبات عندي
❋ واعتزلنا عن الناس في المسجد بالليل
وليس معنا ثالث والباب مغلق ❋
فشاهدنا في إحيائنا ليلتنا ❋ والله أحوال

عجيبة ❋ وأمور غريبة ❋ لا ينبغي التحدث بها ❋ وكان يقول ينبغي أن يعتقد ❋

وكان كثير الترحم عليه ❋ توفي رحمه الله بقسنطينة بعقب مرض أصابه عالجه منه الأطباء سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ❋ ودفن في الزاوية المعروفة باسمه ❋ ورفع كثير من متروكه لبيت المال أيام المريني لأنه لم يظهر له وارث ❋ وكان أشهد قبل موته أن كل ما يتركه صدقة لطلبة

العلم والمنقطعين للعبادة ❁ وإشهاده بذلك يدل أنه لا وارث له ❁ ودفن بعده بجنبه إمام الفريضة به وأحد تلامذته ومن ظهر بعده باسمه الشيخ الصالح المبارك العامل الفاضل التالي للقرآن أبو عبد الله المغربي سنة تسع وخمسين وسبعمائة ❁

ومن أكابر أصحاب جدي للأم رحمه الله وعليه أختصر لأن الغرض الإشارة إلى انتشار بركة الشيخ أبي مدين رضي الله

عنه على تلامذته وعلى السالكين سبيل
هدايته وظهور بركته عليهم وعنايته ❁
الشيخ الإمام العالم المحقق المدرس
المفتي الصالح الشهير قاضي الجماعة ببجاية
أبو عبد الله محمد بن يحيي الباهلي المسفر
❁ شهير الذكر رفيع القدر رقيق القلب
غزير الدمع ❁ لقي الشيخ الفقيه الشهير
أبي الحسن الصغير المغربي الذي ينسب
إليه شرح المدونة ❁ وتحدث معه في
الفقه ❁ ورد عليه كلمة ملحونة ❁ فلما
فارقه أبو الحسن قال لأصحابه : بم يدرك

هذا؟ ❊ فقالوا له بمعرفة كتاب الفصيح لثعلب ❊ قالوا نحفظه في ليلة واحدة ❊ وهكذا كانت همم الرجال ❊

وكان للمسفر ببجاية مجلس للعلم معروف باجتماع الفقهاء والفضلاء والصلحاء ❊ وهما معا من أصحاب الشيخ الصالح العالم الشهير أبي علي ناصر الدين منصور بن أحمد المشذالي ❊ وتوفي ناصر الدين ببجاية في صفر عام أحد وثلاثين وسبعمائة ❊ وسنه نحو المائة ❊

حدث جدي للأم غير ما مرة ❁ قال كلفني السلطان أمير المؤمنين أبو يحيي بن أبي بكر أن أصلح بينه وبين أبي حمو صاحب تلمسان ❁ فترددت في ذلك حتى أشاور ناصر الدين ❁ فاجتمعت به ❁ فلما رآني قال لي من غير أن أكلمه ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ ❁

وسمعته أيضا يقول : كان عندي رجل

من الصلحاء الأخفياء البلهاء ❊ فقال لي ناصر الدين سمعت أن عندك رجلا شأنه كذا وكذا ❊ فقلت له هو على خير عظيم لكنه يفر من الناس ❊ فقال لي بحق ما بيننا من الأخوة إلا وجهت وراءه ❊ فبعثت إليه وحضر وحمل ثوبه وانزوى في نفسه منقبضا ❊ فقلت له ابسط نفسك فتبسم ❊ ثم قال له ناصر الدين ادع لي ❊ فقال له الرجل اسأل الله ينفعنا بذلك ❊ فقال ناصر الدين آمين وكررها وهو يبكي ❊ وتوفي المسفر في

سنة أربع وأربعين وسبعمائة ❋ وله إملاء عجيب على بعض مختصر الإمام أبي عمر بن الحاجب في الفقه ❋ وله القصيدة الطويلة البديعة الجليلة سماها نظم فرائد الجواهر في معجزات سيد الأوائل والأواخر ❋ ومطلعها :

تبدت فغابت واختفت فتجلت
فشاهدتها حالي حضوري وغيبتي

وله شرح على أسماء الله الحسنى ❋ وله كلام عجيب في التصوف ❋ وله تقاييد

في أنواع فنون العلم ❊ وله شعر فائق وخط رائق ❊

وكان من فصحاء الفقهاء في جوابه في الفتيا ❊ وكان على مكانته العلية وسيادته السنية يتولى قضاء حوائجه من السوق بيده ❊

وكان لعلمه وأمانته وفصاحته وديانته يتوجه في الرسائل السلطانية ❊ وكان كثير التواضع حسن الملاقاة ❊ وهو على

الجملة ممن يحصل الفخر بلقائه وصحبته ❋
وينال الخير بدعائه وبركته ❋ رحمه الله
ونفع به ❋

عاشر جدي للأم ورافقه وصافحه في الله
تعالى وعانقه ❋ وزار معه الشيخ أبي
مدين رضي الله عنه في توجيههما للصلح
بين المسلمين ❋ وذلك في الثلاثين
وسبعمائة ❋ وكانت بينهما مكاتبة سنية
محتوية على معان علية ❋ وزاره بزاويته
وأتحفه جدي مرة بمائة دينار ذهبا ❋

ذكر لي غير واحد أن المسفر تعجب من سماح الشيخ له بهذا القدر ❁ ومعاني كتبه له تدل على فضله ومحبته في أهل الطريق وقوة نيله ❁ فمنها كتاب وقفت عليه بخطه رحمه الله نصه ❁ ((أوله بسم الله الرحمن الرحيم ❁ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما❁

زارت وقد فعل النوى أفعاله
صبا رأي في وصلها آماله
نخذوه عنكم لكم بكم حتى يرى
منكم سواء هجره ووصاله

الوحشة لا أوحش الله منكم * الإلتفات
ولو بالسر إلى السوء * والفرقة والتفريق
من الوصل والهوى * فالأول إعراض
عنه * والثاني طلب الحظ منه *
والعبودية له إخلاص التسليم * والإتيان
بقلب سليم * رزقنا الله وإياكم الوفاء
بالعهود * وبلوغ المقصود بمنه * وليعلم
سيدي أبو يعقوب أن كتابه وصل *
وكنت على شوق له * نجد عندي ما لم
يندرس * أكد عندي ما لم يلتبس *
وتبركت بوجوده * وتأنست بوروده *

وطلب مني مواصلة الجواب ❁ وكان
غرضي أن أطيل الكتاب ❁ لأنه عندي
مناجاة معكم ❁ وملاقاة بكم ❁ ولكن
أعجل الظمآن فضل ربه ❁ وغَليان قبل
مشاهدة حبه ❁ والأمل بمرافقتكم
والتبرك بكم ❁ ويا سيدي يعقوب
اذكروني ولا تنسوني ❁ فإني أطالبكم
وجميع ساداتي الفقراء بالمواساة التي بنيتم
عليها طريقكم ❁ ولتعلم أني محب فيكم ❁
وما جزاء من يحب إلا أن يحب ❁ ولا
تقطعو عني مكاتبتكم ❁ فإن لي فيها

اعتقاد بركات ❁ واغتنام دعوات ❁
والله تعالى يعيننا وإياكم على الإخلاص
في الأعمال ❁ ويبلغنا من فضله وجوده
جملة الآمال ❁ والسلام عليكم وعلى
ساداتنا الفقراء ورحمة الله وبركاته)) ❁
ووقفت له ❁ رحمه الله ❁ ونفع به ❁ على
كتاب آخر للجد ❁ فيه فصول كثيرة ❁
أوائله ((الشيخ محمد المسفر ❁ لُطفَ الله
به ❁ يسلم على سيدي أبي يعقوب بن
سيدي يعقوب نفع الله بهما وأعاننا على
القيام بواجبهما ❁ ونعلمه أن الذي يعلمه

من حبه واعتقاده فيه وخلوصه في ولائه وتصافيه ❇ لم يزل على ما يعهده ويتفقده بذمته وتعهده)) ❇